المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

تقييم حالة | 25 تشرين الأول/ أكتوبر، 2023

سقوط الجدار الحديدي: أزمة العقيدة العسكرية الإسرائيلية بعد عملية طوفان الأقصى

طارق دعنا

سقوط الجدار الحديدي: أزمة العقيدة العسكرية الإسرائيلية بعد عملية طوفان الأقصى

سلسلة: تقييم حالة

25 تشرين الأول/ أكتوبر، 2023

طارق دعنا

أستاذ مساعد في برنامج الماجستير في إدارة النزاع والعمل الإنساني بمعهد الدوحة للدراسات العليا. حاصل على الدكتوراه في العلوم السياسية من كلية سانت أنا للدراسات المتقدمة، بإيطاليا. تتعلق اهتماماته البحثية بقضايا الاقتصاد السياسي، والمجتمع المدني، والحركات الاجتماعية، وبناء الدولة والتنمية الاقتصادية، والعلاقة بين الدولة والمجتمع، مع تركيز على فلسطين والعامل العربي.

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2023

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات مؤسّسة بحثيّة عربيّة للعلوم الاجتماعيّة والعلوم الاجتماعيّة التطبيقيّة والتّاريخ الإقليميّ والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاثٍ فهو يولي اهتمامًا لدراسة السّياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربيّة أو سياسات دوليّة تجاه المنطقة العربيّة، وسواء كانت سياسات حكوميّة، أو سياسات مؤسّسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربيّة بأدوات العلوم الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتاريخيّة، وبمقاربات ومنهجيّات تكامليّة عابرة للتّخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قوميّ وإنسانيّ عربيّ، ومن وجود سماتٍ ومصالح مشتركة، وإمكانيّة تطوير اقتصاد عربيّ، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامجَ وخططٍ من خلال عمله البحثيّ ومجمل إنتاجه.

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات

شارع الطرفة، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الظعاين، قطـر

هاتف: 40354111 974 +

www.dohainstitute.org

المحتويات

أولًا: العقيدة العسكرية على المستوى العملياتي - الاستراتيجي 2

1. الردع 3
2. الإنذار المبكر 3
3. الانتصار السريع والحاسم 4

ثانيًا: العقيدة العسكرية على المستوى الوجودي 4

خلاصة 6

المراجع 7

في سياق الصراع الاستعماري الطويل الذي شهدته فلسطين، تظل العديد من الأحداث قد سطرت تاريخها، لكن عملية «طوفان الأقصى» التي نُفذت، في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، تُعدّ من أبرز العلامات الفارقة في هذا التاريخ. تتميز هذه العملية بكونها استطاعت، بوسائلها المحدودة وتكتيكاتها البسيطة، أن تحطم الهالة المحيطة بالجيش الإسرائيلي، وتفوّقه التكنولوجي الذي ظلّ يُعتبر أساسًا لا يُهز في استراتيجيته العسكرية. وفي ظل الدعم المتواصل والثقة المفرطة التي تلقتها المؤسسة الأمنية الإسرائيلية من الغرب، وبصفة خاصة من الولايات المتحدة الأميركية، جاءت هذه العملية لتعيد كتابة المعادلات، وتحدي مفاهيم القوة والضعف. فقد أظهرت المقاومة الفلسطينية قدرتها على التكيف والابتكار؛ إذ استطاعت أن تحدث زلزالًا استراتيجيًا هز الجيش الإسرائيلي وأسسه وعقيدته، ما أدّى إلى سلسلة من التساؤلات عن الاستراتيجيات المستقبلية للصراع، وكيفية تطور التوازنات الجديدة التي قد تشكل وجهًا جديدًا للمنطقة.

لقد زعزعت عملية طوفان الأقصى أسس المؤسسات السياسية والعسكرية الإسرائيلية على نحوٍ غير مسبوق. فالارتباك الذي أصاب دوائر القرار الإسرائيلية على المستويَين السياسي والعسكري، أصبح واضحًا في ترددها وتخبطها في اتخاذ قرارات استراتيجية، وخصوصًا فيما يتعلق بالاجتياح البري لقطاع غزة، وارتكاب عمليات إبادة ومجازر ضد المدنيين تفتقد فيها أي مغزى عسكري استراتيجي. وعلى الرغم من أن الأحداث الميدانية قد تبدو الأكثر إلحاحًا في الوقت الحالي، فإن لتداعيات هذه العملية آثارًا عميقة وطويلة المدى، ستظهر بعد انتهاء الحرب، بغض النظر عن مساراتها المستمرة ونتائجها. وقد تمتد هذه التداعيات لتشمل التحالفات السياسية داخل إسرائيل، وثقة الفرد الإسرائيلي بقدرة جيشه، وربما حتى علاقات إسرائيل الدولية. وفي ضوء كل هذا، يتجدد السؤال عن مستقبل الصراع الاستعماري وكيفية التعامل مع هذه التحديات في الأيام والسنوات المقبلة.

إنّ هذه الأزمة تمثل نقطة تحوّلٍ مهمة في تاريخ إسرائيل؛ ذلك أنها قد زعزعت الأسس والمفاهيم التي استندت إليها العقيدة العسكرية الإسرائيلية. ولا يقتصر ذلك على مفاهيم عسكرية بحتة، مثل استراتيجية الردع الذي طورته إسرائيل على مدار عقود، بل يتعداه إلى هز أعمدة هذه العقيدة، بوصفها إحدى الركائز المركزية للحفاظ على مشروع الاستعمار الاستيطاني. فالعقيدة العسكرية في السياق الإسرائيلي لا تقتصر على كونها منظومة عملياتية تضع الاستراتيجيات والتكتيكات الحربية، بل تشكّل أحد أبرز مكونات العقلية والهوية والسيكولوجيا الإسرائيلية. وهذا يعنى أنها تُعدّ إحدى ركائز الأيديولوجية الصهيونية المركزية في تشكيل المجتمع الاستيطاني في فلسطين، أو كما وصفها الأكاديمي الإسرائيلي باروخ كيمرلينغ «المبدأ التنظيمي المركزي للمجتمع»[1]. ولتوضيح ذلك، ينبغي إلقاء نظرة عامة على ماهية العقيدة العسكرية الإسرائيلية ودلالاتها على مستويين:

المستوى العملياتي - الاستراتيجي: تشكل العقيدة منظومة المبادئ والمفاهيم التي تحدد استراتيجيات الحرب وتكتيكاتها والعمليات العسكرية والنظام الأمني.

المستوى الأوسع: من الممكن أن نسميه «المستوى الوجودي»؛ إذ ترتبط العقيدة العسكرية ارتباطًا وثيقًا بالمجتمع والثقافة والاقتصاد وغيرها من المجالات. فالقيم والمفاهيم العسكرية تتغلغل في مناحي الحياة كلها، بما فيها ما يبدو ظاهريًا أنه مدني.

1 Baruch Kimmerling, "Patterns of Militarism in Israel," *European Journal of Sociology*, vol. 34, no. 2 (1993), p. 199.

أولًا: العقيدة العسكرية على المستوى العملياتي - الاستراتيجي

ركزت التنظيرات المبكرة للحركة الصهيونية على أولوية القوة العسكرية في إقامةٍ وصيانة لدولة استعمار استيطاني لليهود في فلسطين. ومن بين الأفكار البارزة في هذا السياق تأتي فكرة «الجدار الحديدي» التي طرحها زئيف جابوتنسكي، مؤسس الصهيونية التنقيحية[2]. وترتكز هذه الفكرة على ضرورة السحق العسكري لحركات المقاومة العربية، بهدف خلق جدار رمزي ونفسي مفاده استحالة هزيمة دولة إسرائيل، ومن ثمّ دفع العرب إلى الاستسلام والتسليم بحقيقة وجود هذا الكيان من خلال توقيع اتفاقيات سلام معه.

لا تزال فكرة الجدار الحديدي تمثّل جزءًا أساسيًا من البنية الفكرية والاستراتيجية لإسرائيل، مثل الإصرار على مفاهيم التفوق العسكري، ومركزية الجيش بصفته ضامنًا أساسيًا لوجود إسرائيل واستمرارها. وبصرف النظر عن التوجه السياسي، سواء كان يمينيًا أو يساريًا، تبنّت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة هذا الأسلوب خلال أكثر من سبعة عقود. وتُعدّ هذه المقاربة نقطة مركزية لفهم الديناميات والتفاعلات في الحروب العربية - الإسرائيلية، وكذلك في اتفاقيات السلام والتطبيع التي تميل دومًا إلى مصلحة إسرائيل[3].

يُعدّ دافيد بن غوريون، من الناحية العملية، المؤسس الفعلي للعقيدة العسكرية الإسرائيلية؛ إذ لا يخلو، تقريبًا، أي تقرير فني أو دراسة للاستراتيجيات العسكرية الإسرائيلية من استشهادات بآرائه ومفاهيمه أو إشارات إليها. رأى بن غوريون أن الصراع العربي - الإسرائيلي بمنزلة صراع وجودي طويل الأمد سيمتد عبر عقود طويلة، وأنه يشمل جوانب الحياة كلها. وفي هذا السياق، يأخذ في الحسبان ما يعتبره تحديات استراتيجية هائلة تواجه إسرائيل؛ بسبب موقعها الجغرافي الضيق وصعوبة الدفاع عن حدودها المتاخمة لعدة دول عربية، إضافة إلى الفوارق الاستراتيجية الكبيرة بين إسرائيل والدول العربية من حيث المساحة والسكان والموارد الاقتصادية، وعدم التكافؤ في الاستقرار السياسي وأهداف الجيوش وقدراتها ومستوى الدعم الدبلوماسي. وردًّا على هذه التحديات، شدد بن غوريون على مفهوم «الأمة المسلحة» Nation in Arm ضمن نهج قائم على التسليح الشامل بهدف الاستعداد الدائم للحرب، وذلك لتعويض الفوارق إزاء الدول العربية وتوفير القدرة على الصمود والانتصار في أي مواجهة مستقبلية[4].

وعلى مر السنين، شهد البعد العملياتي للعقيدة العسكرية الإسرائيلية عدة تحولات وتعديلات، كان معظمها نتيجة للتجارب والخبرات المستفادة من الحروب التي خاضتها إسرائيل ضد الدول العربية. فعلى سبيل المثال، تغير النهج من التركيز شبه الكامل على الهجوم الخاطف والضربات الجوية السريعة، كما حدث في حرب عام 1967، إلى زيادة التركيز على الجوانب الدفاعية مع إعطاء الجانب الهجومي الأولوية النسبية بعد حرب عام 1973 التي كشفت بعض نقاط الضعف في الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية. وأدت التطورات التكنولوجية أيضًا إلى إحداث تعديلات مستمرة في العقيدة، لا سيما في مجالات الاستخبارات والمراقبة والتسليح. إلا أن المبادئ الأساسية استندت دومًا إلى الموروث الفكري العسكري لبن غوريون، مع إجراء تعديلات تكتيكية بحسب متغيرات الواقع تعتمد على ثلاثة مبادئ مركزية، هي: الردع، والإنذار المبكر، والانتصار الحاسم والسريع. ولقد جرت إعادة إنتاج هذه المبادئ والتشديد على مركزيتها في توصيات لجنة مريدور عام 2006، التي وضعت تقريرًا يمكن اعتباره بمنزلة المرجع الأساسي لفهم أركان العقيدة العسكرية في العقدين الأخيرين[5].

---

2 Ze'ev Jabotinsky, "The Iron Wall," 4/11/1923, accessed on 24/10/2023, at: https://bit.ly/3FsLrPN

3 Avi Shlaim, *The Iron Wall: Israel and the Arab World* (London: Penguin Books, 2000).

4 Charles D. Freilich, "Israel's Classic Defense Doctrine," *Israeli National Security: A New Strategy for an Era of Change* (2018).

5 Dan Meridor & Ron Eldadi, "Israel's National Security Doctrine: The Report of the Committee on the Formulation of the National Security Doctrine (Meridor Committee), Ten Years Later," The Institute for National Security Studies, vol. 187 (February 2019), accessed on 24/10/2023, at: https://bit.ly/3Q7K6CP

شكّل قطاع غزة بيئة خصبة لاختبار وتطبيق المبادئ الثلاثة الأساسية في العقيدة العسكرية الإسرائيلية؛ نظرًا إلى اعتباره منطقة معادية، ومصدرًا للتدريب على الحروب غير المتناظرة ضد مقاتلي المقاومة. فقد طُبّقت في حق القطاع أعنف صور القوة العسكرية بهدف احتوائه وفرض نماذج تكنولوجية متقدمة من السيطرة الأمنية[6]. غير أن عملية طوفان الأقصى ولّدت صدمة كبيرة متعلقة بالمبادئ الثلاثة مجتمعةً، وفضحت قصورها. وفيما يلي تعريفٌ موجز بكل مبدأ، وتقييمٌ لأدائه أمام عملية طوفان الأقصى:

1. الردع

يعتمد مبدأ الردع على إظهار التفوق العسكري وسيلةً لمنع المقاومة من القيام بأي تحركات. ويمكن أن يكون نشطًا، من خلال الهجمات الاستباقية، أو سلبيًا، من خلال إبراز التفوق العسكري، وله جانب نفسي لا يقل أهمية عن الجانب المادي. يضاف إلى ذلك بُعد آخر، في التعامل مع الحروب غير المتناظرة، يُسمى «عقيدة الضاحية»، نسبةً إلى حرب إسرائيل على لبنان في عام 2006، وهي تقوم على استخدام القوة المفرطة، والغاشمة وغير المتناسبة، على نحوٍ ممنهج، ضد البنى التحتية المدنية والسكان مثل المناطق السكنية والمرافق الحيوية؛ من مستشفيات، ومدارس، ومحطات كهرباء، وطرق وجسور. كل ذلك من أشكال الردع التي تستهدف تدمير النسيج المدني والاجتماعي والاقتصادي لإرغام السكان على التمرد ضد المقاومة، وخنقهم اقتصاديًا، وإذلالهم وكسر إرادتهم7. هذا هو الإرهاب بعينه، حيث يمكن تطبيق مفهوم الإرهاب بحذافيره على عقيدة الضاحية، بناءً على الإجماع على التعريف، الذي يشير إلى ارتكاب أعمال عنف مُمنهجة ضد المدنيين من أجل تحقيق أهداف سياسية.

التقييم: فشل ذريع. لم يفلح البعدان المادي والنفسي للردع في لجم المقاومة، بل حفزاها على ابتكار وسائل وأدوات أدت إلى انهيار هذا المفهوم. وإن اعتبرنا الحروب السابقة على غزة حروبًا استباقية مستندة إلى عقيدة الضاحية، فإننا نلاحظ أيضًا فشلًا ذريعًا في تحقيق الردع المطلوب عبر إلحاق الضرر بالقدرات التنظيمية للمقاومة، ماديًا ونفسيًا.

2. الإنذار المبكر

يجري هذا المبدأ باستخدام نظم رصد واستطلاع متطورة تشمل الأقمار الصناعية، والطائرات من دون طيار، والاستخبارات البشرية والتكنولوجية، على نحو تعمل فيه كلها معًا لتوفير صورة واضحة للتهديدات المحتملة.

التقييم: فشل ذريع. لم يتوافر للاستخبارات الإسرائيلية، ولا لأدوات التجسس والرصد المتطورة، أيُّ إشعار، حتى لو كان هامشيًّا، عن التخطيط والتحضيرات المسبقة لهذه العملية، والتي يعتقد أنها كانت قيد التطوير خلال سنوات عديدة، وحتى الأميركيون أنفسهم قد أعلنوا أنهم لم يمتلكوا أي إشعار عن عملية مقبلة في الأفق. بل إن الأمر على العكس من ذلك؛ فقد استندت تقديرات الاستخبارات الإسرائيلية إلى مؤشرات خاطئة جعلتها تستبعد احتمالية قيام حركة المقاومة الإسلامية «حماس» بأي تصعيد، وخاصة بعد امتناعها عن الانضمام إلى المواجهة ضد إسرائيل في الحرب الأخيرة ضد الجهاد الإسلامي.

6 Tariq Dana, "A Cruel Innovation: Israeli Experiments on Gaza's Great March of Return," *Sociology of Islam*, vol. 8, no. 2 (2020), pp. 175 - 198.

7 Rashid Khalidi, "The Dahiya Doctrine, Proportionality, and War Crimes," *Journal of Palestine Studies*, vol. 44, no. 1 (Autumn 2014).

3. الانتصار السريع والحاسم

يستند هذا المبدأ إلى عقدة مفادها أن إسرائيل لا تملك الامتياز الديموغرافي والجغرافي لتحمّل حرب طويلة الأمد. ومن ثمّ، يجب أن يتحقق انتصار حاسم ينهي الحرب بسرعة ويحقق أهدافها السياسية والعسكرية. ويتطلب هذا العنصر أيضًا نقل المعركة إلى أرض الجهات التي تنطلق منها المقاومة.

التقييم: فشل ذريع. لا يتوافر انتصار حاسم أو سريع، سواء كان ذلك في هذه الحرب أو الحروب السابقة. ومع أن الحرب بدأت داخل الأراضي الفلسطينية التي تسيطر عليها إسرائيل، فإن نقلها إلى غزة لم يحقق أي إنجاز بالمعنى العسكري. وبحسب التصريحات الإسرائيلية، فإن الحرب ستكون طويلة، وقد تستمر عدة أشهر، وهذا ينفي هذا المبدأ الاستراتيجي للعقيدة العسكرية الإسرائيلية.

ثانيًا: العقيدة العسكرية على المستوى الوجودي

تأسست إسرائيل على إطار مؤسساتي يربط ربطًا وثيقًا بين العسكرية Militarism والقومية اليهودية، مُشكلةً عقدًا اجتماعيًا معسكرًا بين الدولة الاستعمارية الناشئة والمستوطنين الصهاينة. وفي قلب هذه الديناميكية، يقع الجيش الإسرائيلي الذي نشأ من إرث الميليشيات الصهيونية التي ارتكبت مجازر التطهير العرقي في فلسطين خلال النكبة في عام 1948[8].

مقارنةً بالدول الأخرى التي تأسست في أعقاب الحرب العالمية الثانية، يحتل الجيش الإسرائيلي مكانة بارزة على نحوٍ غير اعتيادي، يمارس من خلالها تأثيرًا بالغًا؛ ليس فقط في مسائل الأمن وصناعة الحرب، بل أيضًا في المجالات الاقتصادية والاجتماعية، والثقافية، والتعليمية، وغيرها. وعلى عكس النظريات التقليدية للعلاقات المدنية - العسكرية، التي غالبًا ما تضع حدودًا واضحة المعالم بين المجالين العسكري والمدني من حيث البنية والوظيفة والرمزية، تختفي الحدود بين ما هو عسكري وما هو مدني في الحالة الإسرائيلية.

تعتبر المؤسسة العسكرية قناة حيوية للتوجيه الأيديولوجي والانخراط المجتمعي، مُشكّلةً فضاءات متنوعة، تمتد من التعليم إلى القضاء، وبناء المستوطنات، والإعلام، والتنمية الاقتصادية، وإدماج المهاجرين اليهود، مُدمجةً بذلك نزعة العسكرية في الوعي الجمعي والقيمي والهوياتي للإسرائيليين[9]. ويُعبر عن مستوى التكامل العالي بين الجيش والمجتمع باستمرار في استطلاعات الرأي العام. فوفقًا لاستطلاع أجراه معهد دراسات الأمن القومي في جامعة تل أبيب في عام 2022، تتجاوز الثقة العامة بالمؤسسة العسكرية إلى حدّ بعيد الثقة بالمؤسسات الحكومية الأخرى؛ إذ حصل الجيش والموساد على تصويت بنسبة 76 في المئة، في حين لم تبلغ نسبة الثقة العامة بالحكومة إلّا 27 في المئة، تليها الشرطة بنسبة 31 في المئة، والمحكمة العليا بنسبة 41 في المئة. ولهذا السبب، تتصدر إسرائيل تصنيفات الدول الأكثر عسكرة في العالم منذ تأسيس مؤشر العسكرة العالمي Global Militarization Index[10].

وفي المجتمع الإسرائيلي، وهو مجتمع متنوع ومعقد، توازن العقيدة العسكرية بين العناصر الاجتماعية المتناقضة المشكلة للنسيج الاستعماري - الاستيطاني؛ فهو مجتمع يواجه العديد من الانقسامات الداخلية، مثل الخلفيات الإثنية والعرقية والثقافية المتنوعة لليهود (وهذا الأمر ينعكس على البنية الطبقية التي

8 Azmi Bishara, *Palestine: Matters of Truth and Justice* (London/ New York: Hurst, 2022); Ilan Pappe, *The Ethnic Cleansing of Palestine* (Oxford: Simon and Schuster, 2007).

9 Uri Ben-Eliezer, *The Making of Israeli Militarism* (Bloomington/ Indianapolis: Indiana University Press, 1998); G. Sheffer & O. Barak (eds.), *Militarism and Israeli Society* (Bloomington, IN: Indiana University Press, 2010); Kimmerling, pp. 196 - 223.

10 "Global Militarization Index 2022," Bonn International Center for Conversion (BICC), accessed on 24/10/2023, at: https://bit.ly/3M9Ezu7

تصب في مصلحة اليهودي الأشكنازي)، إضافةً إلى الصراع بين المجتمعات العلمانية والدينية داخل إسرائيل. وبهذا تمثل العقيدة العسكرية نوعًا من «المذهب الوطني» لجسر الفجوات الاجتماعية والثقافية، وخصوصًا من خلال تحديد «العدو الآخر» لخلق حالة دائمة من التهديد الخارجي وعدم الاستقرار والتوتر والصراع وسيلةً لتعزيز الهوية الاستعمارية وتماسكها الداخلي.

في الجانب الاقتصادي، تظهر أهمية دور «اقتصاد الحرب» على نحوٍ بارز. فحين نتحدث عن النفقات العسكرية، نجد أنها تحتل موقعًا رياديًا على الساحة العالمية؛ بالنظر إلى نسبتها من الناتج المحلي الإجمالي. ولا تقتصر هذه النفقات على التكلفة المباشرة للأسلحة والمعدات، بل إنها تشمل الأبحاث والتطوير والاستثمار في البنية التحتية العسكرية. ومن الجدير بالذكر أن في إسرائيل مجمعًا صناعيًا عسكريًا يمتد ليشمل مختلف القطاعات الإنتاجية والخدمية. وهذا المجمع ليس مركزًا للإنتاج والتصنيع فحسب، بل إنه يعكس التداخل العميق بين القطاع الخاص والجهاز العسكري أيضًا. ويتضح هذا التداخل من خلال الرابط الوثيق بين النجاح في إدارة الأعمال والعلاقات المباشرة أو غير المباشرة بالمؤسسة العسكرية. وهذا الأمر ليس بجديد، خاصة في قطاع التكنولوجيا العالية، حيث يُسجل حوالى 90 في المئة من العاملين فيه خبرات وخلفيات عسكرية. وهذا القطاع في حد ذاته يمثل محركًا اقتصاديًا مهمًا؛ إذ يبلغ نحو 15.3 في المئة من الإنتاج المحلي. وفضلًا عن ذلك، يعدّ من القطاعات الرائدة في توليد الإيرادات؛ فهو يشكل نسبة تصل إلى 54 في المئة من التصدير الخارجي[11].

لعل أبرز ما أنتجه التداخل بين قطاعَي الجيش والتكنولوجيا في إسرائيل، المرتبط مباشرةً بغزة، ما يُعرف ترويجيًا بـ «السياج الذكي»، الذي عطلته المقاومة الفلسطينية واخترقته كليًّا. ويُعدّ هذا السياج تجسيدًا لمفهوم الجدار الحديدي ببعدَيه المادي والنفسي؛ لكونه يمثل أعتى صور الردع الإلكتروني في العالم، وأكثر تمثيلات الحصار عنفًا وفتكًا بالسكان. ولا يقتصر دور هذا السياج على الردع، بل إنه مصدر مالي هائل لاقتصاد الحرب الإسرائيلي؛ إذ تبيع إسرائيل هذا النموذج لأكثر من 100 دولة. وفي تصريح لإحدى الشركات المنتجة، وصفت غزة بأنها «صالة لعرض منتجات السياج الذكي، حيث يقدّر العملاء أن هذه المنتجات جرى اختبارها في المعارك».[12]

ويتألف هذا النظام الأمني المعقد من منظومة تقنية متكاملة من الكاميرات وأجهزة الاستشعار والرصد البرية والبحرية والجوية، إضافة إلى نظام «الرؤية والرماية» الذي يسمح باستهداف الأهداف تلقائيًا، ومدرعات آلية مسلحة برشاشات، يجري تطويرها واختبارها على الفلسطينيين قبل تصديرها. وقد جرى اختبار نظام الرؤية والرماية أول مرة تجاه مسيرات العودة الكبرى السلمية التي كانت تنطلق خلال سنتين (2018-2019) كل جمعة، حيث كانت الأسلحة الأوتوماتيكية ترصد المتظاهرين وتطلق النيران تلقائيًا. ولاختبار دقة هذا النظام، استهدف إطلاق النار الشباب المتظاهرين في منطقة الركبة؛ ما حوّل مئات منهم إلى مقعدين[13].

لقد كشفت عملية طوفان الأقصى هشاشة الاستراتيجية الإسرائيلية في الردع التكنولوجي. فباستخدام تكتيكات بسيطة نسبيًا، تمكّن المقاتلون الفلسطينيون من اختراق السياج الإلكتروني عند عدة نقاط، معطلين بذلك بنيته التحتية بفاعلية. وبعد أن كان يُنظر إليه على أنه حاجز لا يمكن اختراقه، أصبح هذا السياج الأمني المكلف غير ذي جدوى؛ ما سمح للمقاتلين الفلسطينيين بالدخول، من دون عوائق تقريبًا، إلى مناطق تحت السيطرة الإسرائيلية. لقد فجّر هذا الحدث وَهْمَ عدم قابلية إسرائيل للاختراق وتفوقها التكنولوجي؛ وهو الأمر الذي يمكن أن يؤثر بعمق في الترويج الدولي لتكنولوجيا الأمن الإسرائيلية، ومن ثمّ إلحاق خسائر اقتصادية كبيرة في هذا القطاع الاقتصادي الحيوي.

---

11 Israel Innovation Authority, *Part A: Israeli High-Tech 2022 Situation Report* (2022), accessed on 24/10/2023, at: https://bit.ly/3S6To4F

12 Jonathan Ferziger, "Gaza Barrier Can't Withstand an Assault by Mob, Fencemaker Says," *Bloomberg*, 11/4/2018, accessed on 24/10/2023, at: https://bit.ly/406UUpe

13 Dana.

خلاصة

لم تكن عملية طوفان الأقصى مجرد فصل جديد في تاريخ الصراع الاستعماري بين المقاومة الفلسطينية والاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي، بل كانت محطة فارقة تنبئ بنقلة نوعية في الأوضاع الإقليمية. إن فشل مفهوم «الجدار الحديدي» - الذي شكّل عنصرًا أساسيًا في استراتيجية إسرائيل لتأمين وجودها - سيترك أثرًا معمقًا في العقيدة العسكرية الإسرائيلية، على المستويين العملياتي والوجودي.

الحرب الإسرائيلية في بداياتها، لكن تظل ثمة احتمالات لأحداث مفاجئة ومريعة قد تتخلل مساراتها المستقبلية، سواء إنْ حدث اجتياح بري أو توسعت الحرب لتشمل قوى إقليمية أخرى، قد تزيد من حدة الضرر الواقع على العقيدة العسكرية الإسرائيلية، فضلاً عن زعزعة الثقة بالجيش أداةً لضمان استقرار هذا المشروع الاستعماري واستدامته؛ ومن ثمّ يؤدّي ذلك إلى أزمة عميقة ترتبط مباشرة بالمرتكزات الأساسية التي يقوم عليها مشروع إسرائيل.

المراجع

Ben-Eliezer, Uri. *The Making of Israeli Militarism*. Bloomington/ Indianapolis: Indiana University Press, 1998.

Bishara, Azmi. *Palestine: Matters of Truth and Justice*. London/ New York: Hurst, 2022.

Dana, Tarek. "A Cruel Innovation: Israeli Experiments on Gaza's Great March of Return." *Sociology of Islam*. vol. 8, no. 2 (2020).

Freilich, Charles D. "Israel's Classic Defense Doctrine." *Israeli National Security: A New Strategy for an Era of Change* (2018).

Israel Innovation Authority. *Part A: Israeli High-Tech 2022 Situation Report* (2022). at: https://bit.ly/3S6To4F

Jabotinsky, Ze›ev. "The Iron Wall." 41923/11/. at: https://bit.ly/3FsLrPN

Khalidi, Rashid. "The Dahiya Doctrine, Proportionality, and War Crimes." *Journal of Palestine Studies*. vol. 44, no. 1 (Autumn 2014).

Kimmerling, B. "Patterns of Militarism in Israel." *European Journal of Sociology*. vol. 34, no. 2 (1993).

Meridor, Dan & Ron Eldadi. "Israel's National Security Doctrine: The Report of the Committee on the Formulation of the National Security Doctrine (Meridor Committee), Ten Years Later." The Institute for National Security Studies. vol. 187 (February 2019). at: https://bit.ly/3Q7K6CP

Pappe, Ilan. *The Ethnic Cleansing of Palestine*. Oxford: Simon and Schuster, 2007.

Sheffer, G. & O. Barak (eds.). *Militarism and Israeli Society*. Bloomington, IN: Indiana University Press, 2010.

Shlaim, Avi. *The Iron Wall: Israel and the Arab World*. London: Penguin Books, 2000.